

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

تضمن العدد ٢٠ ملية

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة (الأسبوعية للفكر والعلم والفن)

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ - ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشر

معروف الرصافي

١٨٧٥ - ١٩٤٥



(الرصافي وهو في الحين من عمره)

نرى الرقاق أول هذا الأسبوع شاعره الباقي ، فوجعت لنعاء
ألسن ، وجزعت لفقدته نفوس ! ثم قرأنا أن بغداد قد غسّلت
شاعرها الراحل بالدموع وشيمته بالحسرات ، وكنا قرأنا من قبل
أن الرصافي في أعقاب عمره كان يطلب الغذاء الكفني فلا يجده ،
ويلتمس الدواء الضروري فلا يناله !

لفظ معروف الرصافي أنشأه الأخيرة في حجرة مظلمة مقرورة
لا يلمظ جهومتها نور ولا نار ، ولا يخفف وحشتها خليط
ولا جار ؛ ولم تقع عينه الناحضة وهو في نزاع الروح إلا على
ورقة هنا وكتاب هناك ، أو غلى خادمه الأمين يتأسك لحظة
ويبألك أخرى ، والدنيا التي صحبها الشاعر سبعين عاماً يدل على
جمالها الميون ، ويفرى بمتاعها الأفتدة ، لم تجد عليه ساعة الوداع
بيد رفيقة تغمض عينيه ، ولا بيبين حبيبة تذرف دموعه عليه !
كان الرصافي - أحسن الله إليه - لسان الرقاق الصادق ،
ينقل عن شعوره ، ويترجم عن أمانيه ، ويحدو لركبه المجاهد
في سبيل استقلاله وعزته بالهداء الحامسي المطرب ، ويصور
خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب ؛ وظل
هو والزهاوى وشوق وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون
الأوتار الخمسة لقيثارة الشعر الربى الخالص . ولكل وتر درجته
في الرنين والمجاهرة والأثر .

والرصافي أشبه بحافظ من الزهاوى بشوق . وإن شئت فقل
كانا الوترين الرابع والخامس في القيثارة : صوت عريض ضخم ،
وذنب ذبذبة ضيقة محدودة .

كان هذان الشاعران يتشابهان في أسلوب العيش وأسلوب
الفكر . كانا صدقاً لمتاف الجمهور في السياسة والاجتماع ، ورجعاً
لأثنين الساكنين في الألم والشكوى . وكانا يتقاربان في جوانب
من ضيق الثقافة وقلة الاطلاع وبوهيمية الحياة . ولكن الرصافي
كان متميزاً على نظرائه جميعاً بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ .
كان يعيش ليومه وينطلق على هواه ويستجيب لمرزقه ، فيفعل

لينادم خليفة الأمين ، وإذا الأمل الفسيح والطموح البعيد يسفران
عن وظيفة متواضعة في وزارة المعارف ! حينئذ تفجر غيظه
المكتوم على السلطان ورجاله فأعلنها شعواء بالهجاء المقذع والهكم
الفاحش . ووسع (معاوية بنى هاشم) بحلمه ، وتمم إساءته
بإحسانه ، ففتح له الطريق إلى مجلس النواب ثم عاد فأغلقه دونه .
ونال الخذلان والحerman من نفس معروف ومن جسده ففتر
نشاطه وتراجع شعره ، ورضى من دهره بالهلكات الثلاثة : شرب
العرق ولب الورق واستباحة الجلال !
وعلى هذه الحال الضنية أدركه الفقر والمرض والموت دون
أن يجد آسياً من إيمانه ، ولا موسياً من إخوانه !

قلت لصاحبي ذات ليلة من ليالي في بغداد : أريد أن أزور
الرصافي فقد زارني مراراً ولم أزده . فقال : أتشجع على أن تدخل
حي البغايا ؟ قلت له : وما صلة هذا بذلك ؟ فقال إنه يسكن بينهن ،
وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن . قلت له : هلم ، فإيسع زواره
من السدر يسعنا . ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب
الشلال ، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة . وكلمة الشاعر هنا بدل
الأديب بذلك على أن ليس بالزور مكتب ولا مكتبة ؛ فقد كان الرجل
لا يقرأ ، وإنما كان يتكلم على شدة ذكائه وحدة فهمه ، ويكتفى
بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه . كان في الدهقة قوم يأكلون
ويشربون ، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون ، وكان
الرصافي يتصدر هؤلاء ، في عناه كأس ، وفي يده ورق . فلما
رآني فض اللعب وأقبل بأنسه على . ثم أخذ يشرب ويتحدث
باللغة العامية عن الحقائق العارية في غير اكترات ولا تحفظ .
ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال . ولكن نداماه
برون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ صاحب الملك فيغضب ،
أو صاحب الحكم فيعجب ، أو صاحب الدين فيصخب ، أو صاحب
الخلق فيثور . وكل أولئك يمدون الرصافي ، ولكنهم يهايونه
لشخصيته ، ويحترمون له بقبرته ، ويتربصون به سوء المصير
هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم ، أما عقيدته
فالأمر فيها لله لا للناس ، وأما شاعريته فالحكم عليها للنقاد
لا للمؤرخ . وقد يكون لنا إليها عودة . . .

محمدين الزيات

ما يشاء ، ويقول ما يعتقد ، ويطلب ما يشتهي ، ثم لا يبالي أين
يقع ذلك كله من رأى غيره . ولا مرء في أن لهذه الحرية المطلقة
أصلاً في مولده ونشأته . كان أبوه من بدو الكرد وأمه من بدو
العرب . وكانا فقيرين فولداه ببغداد في مهد بدوي خشن . ثم
نشأه على أخلاق البادية الأصلية . ثم أرخيا له الحبل وتركاه يندو
ويروح على منتضى فطرته . ثم تبناه بالروح عالم العراق الأستاذ
محمود شكرى الألوسي فلحقه في اثني عشر عاماً أسول المقول
والمقول من علوم الدين واللغة والأدب . ثم حاول أن يقبسه
أشعة من نور سلفيته وتقواه ؛ ولقبه بالرصافي رجاء أن يخلف
معروفاً الكرخي في سوفيته وزهده . ولكن غرأثر معروف كانت
أقوى ، ومطامحه كانت أبعد ، فخرج من هذه الرياضة الطويلة مسلم
اللسان جاهلي القلب .

ووجد الرصافي العراق على فترة من الشعراء ينتظر أبا نواسه
البعوث ، فصدق على ضفاف الرافدين صدحاته المعروفة فأصفت إليه
الأنشاع واهترت له القلوب . ورأى الناس في أمثال قصائده :
(المطلقة) و (أم اليتيم) و (اليتيم في العيد) أسلوباً من الشعر لم
يعرفوه فأكبروه . وحاول أن ينفض عن نفسه غبار المترية
فزاوَل التعليم في مدارس بغداد . ثم كان من الذين مارعوا
استبداد عبد الحميد بقوافيه السمومة ؛ فلما خر الطاغية وأعلن
الدستور تناطحه النصر وازدهته الشهرة ، فاعتقد كما كان يعتقد
الشعراء أن له أن يقول وعلى الناس أن يفعلوا ، وأن له أن ينفض
وعليهم أن يفعلوا . فذهب إلى الأستاذة يطلب المجد بوساطة
شعره ، فكان قصارى أمره أن يكون خوجة في مدرسة أو محرراً
في صحيفة . ثم سما به الحظ درجة فانتخب نائباً في مجلس (البعثان)
عن لواء المنتفق ؛ وظل في عاصمة الخلافة مدة الحرب الماضية حتى
أعلنت الهدنة . وكانت ثورة العرب على الترك يومئذ قد انجملت عن
عرش أمية في دمشق يجلس عليه فيصل الأول ، ومن حوله سيوف
الثورة وألسنها من أمثال ياسين ونوري وجعفر ورستم وساطع . وجاء
الشاعر الطراح يبحث عن مكانه في الدولة العربية الجديدة فلم يجد .
فانقلب بعد طول الصبر وإدمان السعي إلى فلسطين نائب الأمل
كأسف البال يبتنى العيش فيها من طريق التعليم . فلما انتقل العرش
الهاشمي من الشام إلى العراق سنة ١٩٢١ ، عاد الرصافي إلى وطنه
ورجا أن ينال في بغداد ما لم ينله في دمشق . وتهاى خليفة النواصي